باب تدبير المنزل

قد افردنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام والشراب والمسكن والرفاهة وغير ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الملاك الثاني

(تابع ما قبله)

ان من الناس من يعتقد بان الرحمة قائمة بمدّ اليد الى الجيب وقذف النقود منهُ قذفاً الى صندوق المعبد او الى يد فقير فقير. ولكنهُ حالما يتقبل احداً حاملاً اليهِ شكوى مؤلمة يمدُّ اصبعيهِ الى اذنيهِ كي لا يسمح بدخول عاطفة الرحمة الحقيقية الى قلبهِ ويقطب وجههُ عابساً و ينسى ان كلمة لطف وابتسامة اخلاص وشعوراً رقيقاً اثمن بكثير من هذه المادّة التي تسميها ذهباً وفضة . لم ار نادرةً اعلقَ بالقلوب ولا اجمل اثر في النفوس من حديث جرى بين رجل من سراة القوم وعليتهم واخر من عامة الناس واشقاهم. بدأ الاول في الكلام وكان قد لاح على محيّاهُ لوائح الدعة واللطف والرقة والحنان وظهر في الثاني اشقى مثال للانسان واقبح منظر ممكن ان يُرى بهِ بشر وما عدا هذا كان قد أصيب بداء عضال قبيح شوّه جلدهُ وكل ما بقي لهُ من الملامح البشرية . فلم ينتهِ صديقنا من الكلام معهُ حتى اجهش ذلك التعيس بالبكاء وخنقتهُ التنهدات . فانذعر المتكلم وتحيّر في امرهِ ظانّاً انهُ اخطأ في طريقة التعبير عن شعورهِ معهُ فلما سألهُ عن سبب بكائهِ قال « ابكي لاوّل مرة في حياتي لانها اوّل مرة وجّه اليَّ كلام لطيف ابكي لانك انت اول شخص في العالم اظهر لي اهتماماً وسألني عن حالي واراني انعطافاً »

سادتي. ان للبؤساء علامات ورايات ولضحايا البشرية قصصاً وحكايات ولمن يريد صنع الرحمة ابواباً متنوعات . فلو اتيت على تعدادها كلّت عواطفنا ونضبت ينابيع الرحمة من قلوبنا قبل ان اصل الى الغاية التي حملتني على انتقاء هذا الموضوع والتي من اجلها وقفتُ بينكم الآن . امام عينيَّ الآن شقاء تصغر امامهُ باقي الشقاوات

ليس لاني لا اشعر بتعاسة الفقراء الذين يسكنون كهوفاً كالقبور وينامون سواد ليالهم في البكاء والنحيب

ليس لاني لا اندب ما حلّ بأدنة وطرسوس حيث لم يزل الى الآن امهاتٌ تبكي اولادها وقلوبٌ تندب آمالها وارضٌ مقفرةٌ من عمالها وسوادُ الحداد مخيمٌ على اطلالها

ليس لاني لم التقِ بالضرير والعاجز واليتيم على قارعات الطرق يتكفّفون ذلّ السؤال ولا يقابلون الاّ بالسخرية وخيبة الآمال

ليس لاني لم أرَ من اخنى عليه الدهر بعد عزّ الافضال واصبح عبداً اسيراً لاصحاب المال

ليس لاني لا اعرف العالِم الذي يبذل من نفسه وعمره في سبيل الخير العام وعند موته يجمعون لهُ ثمن الكفن ... بل لان الشقاء الذي اقصدهُ هو ادعى الى الرحمة من كلّ ما ذكر وذلك لان جميع هؤلاء التعساء يمكنهم ان يجدوا مصرفاً لهمومهم مهما ضاقت بهم الحيل ولأنّ للاصحاء من بنيهم القوية وللآخرين من طبيعة امراضهم منعشاً لآمالهم وامانيهم فيحيوا بها ولها ولو كان بعضها كاذباً

وليست حياة المرء الاّ امانيا اذا هي ضاعت فالحياة على الأثر

ولكن هنالك من لا آمال لهُ ينظر الى العالم ولا يرى فيهِ الاّ ظلاماً دامساً وخراباً بلقعاً. يضيق بهِ البيت الذي استحدثهُ وينبذهُ البيت الذي ربّاهُ وتهجرهُ الام على شدة حنوها وينكرهُ الاب الذي ولدهُ. يتجنبهُ كل قريب ونسيب ويبعد عن مجالسهِ كل صديق وحبيب. يلتجئ الى الطبيعة علهُ كباقي الناس يجد لهُ فيها منعشاً وعزاء فيرى فيها ما في نفسهِ من الظلال والخيالات والكهوف. ينظر الى ازاهرها ونباتها فلا يرى الاّ الذابل منها منذراً بذبول جسمهِ. ويسمع حفيف الاوراق ورفرفة العصافير وزقزقتها فيذكرهُ ذلك بخفقان قلبهِ ورفرفة روحهِ. ينظرُ الى اوراق الاشجار المتساقطة كأنهُ ينظر الى نذير ينبئهُ بسقوط اوراق حياتهِ يحوّل وجههُ نحو الغرب فترتجّ الارض تحت رجليهِ ويضطرب فؤادهُ وتهيج اشجانهُ اذ يرى شمس النهار قد تقلصت الى شكل صحيفةٍ صغيرة مكتوب عليها باحرف من نار « الوداع الوداع ايتها الارض المحبوبة » فيضطرّ هو نفسهُ ان يردد هذه العبارة مراراً بصوت مسموع والاّ حرقت فؤادهُ لأن هذا كل ما يمكنهُ ان يعمل او يقول ليطرد وحشة الكآبة التي تخلف الشمس بعد مغيبها « الوداع الوداع ايتها الارض المحبوبة » . هذه هي حياة المخمول البائس . هذه هي حالة من لا حياة لهُ . هذه هي النفس التي تجول في هذا الفضاء الواسع فلا تجد لها مأوى تأوي اليهِ تأمن منهُ شرّ الوحدة . هذه النفس التي يمرُّ عليها بكل شيء

حتى بالموت الذي تطلبهُ فلا يأتيها قبل ان يذيقها من طعمهِ جرعات مريرة . هذه هي الزهرة التي قذفها المرض على اعتابكم أيها الكرام فلا تدوسوها بل ارحموها وابتوا لها ماوىً من فضلات اقفائكم كي تموت فيهِ بسلام

« واكدوا انكم لا تنصرون ولا ترزقون الاَّ بضعفائكم »

وان حسبتم وصفي لحالة المسلول ليس الاَّ على سبيل الخيال . فاسمعوا الى قصةٍ حقيقية جرت في اوائل الخريف الماضي على شواطئ بلدتكم ايتها البيروتيون . على بعد غلوة منا في احدى الغابات المجاورة مرَّ احد الادباء على جوادهِ بُعيد الغسق فسمع انةً تتردد في جوف الغابة فاصغى اليها فتلقاها اختها ثم اخواتها فاثر في نفسهِ مسمعها ومال بجوادهِ كي يستعلم مصدر الصوت . ولم يسر بضع خطوات حتى وصل الى خيمةٍ جدرانها خرق رثَّة ولا سقف لها وضمن تلك الخرق البالية على فراش من القش رأى هيكلاً من عظام ليس عليهِ من دلائل الحياة الاَّ حشرجةً في الصدر وانَّات ثقيلة . وحالما وقع نظر تلك المريضة على زائرها الغريب رفعت يديها مشيرةً الى رؤوس انامل التي قد قرضتها وشوَّهتها الجرذان في الليالي السالفة ثم قالت بصوت كاد يتقطع لهُ نياط قلبها « ارحمني يا افندي هوذا الليل مقبل واحرار الجوّ ينبئني بامطار شديدة انقلني لاحدى الخانات المجاورة كي اموت مستأنسة ولو بضوضاء المدينة وصهيل الخيل . ها قد صار لي مدَّة وانا في هذه البقعة الموحشة وما خفتُ قط خوفي في هذا المساء ولعلَّ السبب هو دنوّ اجلي وكيف لا اخاف ان اموت وحدي هنا وكيف لا اغار على جسمي ان تمزقهُ الكلاب قبل ان يصبح الصباح ولا يعلم بي احد ارحمني يرحمك الله ولا تتركني » ثم ارسلت من بين اجفانها قطرات حارَّة من الدموع هي كل ما يمكنهُ الضعفاء ويقدر عليهِ اليوَّساء . فتنهد الرجل مدركاً نوع مرضها وسبب هجران الانسانية لها فنقلها الى المماثلين حيث ضمها قلب كبير وعالجتها يدٌ اجنبية فذاقت من الحبّ والحنان في ايامها الاخيرة ما لم تحلم بهِ او تذقهُ مدَّة حياتها كلها . هي يد الدكتور ماري ادي الاميركية لا بل السورية هي الاجنبية لا بل الوطنية التي قد ادركت نفس هذه الثلة من البشر والخطر الذي يتهدد بلادنا من هذا الداء الوبيل فسعت في بناء مستشفى خصوصي لهُ وشرعت منذ ثلث سنوات تعالج المسلولين فيهِ الى آخر نسمةٍ من حياتهم مشجعة ايام بكلامها العذب وابتساماتها المخلصة يدها بيدهم وجنبها الى جنبهم حتى تفارقهم الارواح . وهي التي اغمضت بيدها عيني المرأة التي ذكرت قصتها وباليت الفاعلة هي اختي او احدى بنات وطني او اناء « فانما يرحم الله من عبادهِ الرحماء »

سادتي : ان هذا الخجل الذي اشرت اليه يضيق بالعدد العديد الذي قد دهمهُ هذا الداء الوبيل فالوطن في حاجة كلية الى ملجإ آخر

ان الوطن يحتاج الى تمثال تنصبونهُ فيشهد بحمية وحمية اهلهِ يحتاج الى هيكل تبنونهُ كي يحمي انفس نسائهِ

فباسم المسلول البائس اقف في هذا المساء على ابوابكم ايها الاغنياء فلا ترجعوني خائبة . قد جاد الله عليكم بكل ما عندهُ من الشمس والهواء والماء والملك فجودوا على ابنائهِ جودهُ عليكم

وفي الختام اطلب من اخي جهاراً كما فعلت ذلك في السر مراراً كي يمتعني طلبتي ويلهم قومهُ منكم فكرتي فيتم على يدكم مالا يتم على يدنا في عشرات من الاعوام ولا في تكرار العشرات من مثل هذا الاحتفال

اسمعوا الى ما يقولهُ لكم ملاك الرحمة . اعطوا تعطوا . اعطوا بسخاء فاعطيكم مئة لا بل الف ضعف من اللذة والسرور . من السعادة والحبور ومن الحزم والنشاط والهمة والتدبير الى غير ذلك جوليا طعمه

الحر والثياب

هذه الثياب التي قلدنا بها الاوربيين رجالاً ونساء لا تصلح لهذا الحر . هذه ثياب وجدت للبلاد الباردة بناموس بقاء الاصلح ونحن لنا في اقمشتنا الخفار الثياب الواسعة التي لا تضيق على البدن ولا تضغط على العنق ولا تمنع تبخُّر العرق من الجسم . من لا يفضل الجلابية في هذا الحر على كل الملابس الاوربية ولو كانت مصنوعة من وبر الجمال او من فاخر الحرير . لابدَّ للانسان من ان يتشبَّه بالذين يحسبهم مرتقين عنهُ ومتقدمين عليهِ ولكن لا يجوز ان تضحَّى الراحة لهذا التشبُّه

واصعب ما في ملابس الرجال احتمالاً الياقة او القبة . والمراد بها على ما يظهر حفظ قبة السترة من الاتساخ . فهو صنعت ستر الصيف مقوَّرة من غير قبة لبطلت الحاجة الى الياقة المكواة وكشفت العنق كلها وامكن ايضاً كشف اعلى الصدر فيسهل تبخر العرق من الجسم ويبرد سطحهُ . لمن نا بالنفس لا يعبأون بكسر العادات يريحون سكان البلاد الحارة من لبس الياقة في الصيف وهم الكثر والاجر

مقاومة الامراض

يتوقف ثقل الانسان وهو في حال الصحة التامّة على استيفاء اعضائهِ نموها التام وخروج الفضول من جسمهِ في اوقاتها والتعويض عنها بالغذاء تعويضاً لحاجات الجسم كلها بحيث يبقى فيهِ مقدار قليل من الدهن يزيد على حاجتهِ فيخزنهُ الى حين الحاجة اليهِ

فاذا زاد هذا الدهن المخزون عن الحاجة اخذ الجسم بسمن واذا قلّ عن الحاجة اخذ الجسم يخف والزائد اخو الناقص كلاهما ضارٌّ. ومثل ذلك مثل سفينة بخارية ملئت بالنحم والماء حتى لم يبقَ فيها مكان للركاب وامتعتهم او قل ما وضع فيها من النحم والماء حتى لم يكفيا لادارة آلاتها البخارية فان الحالتين غير صالحتين على حدٍّ سوى

ولقد كان الاطباء الاقدمون يقولون ان المرض حادث من تغلب الاخلاط السوداء والصفراء والبلغم اما المتأخرون فعرفوا للامراض اسباباً غيرها اكثرها سموم او مواد حيوية تدخل الدم وتتعب الجسم او توقع الخلل فيهِ ويسهل الاستدلال على الانحراف في صحة البدن بشعور الانسان نفسهِ فاذا انتبه الى كل انحراف يصيبهُ وفتش عن اسبابهِ وازالها تمتّع بالصحّة دائماً . ولكن اكتشاف الاسباب دائماً ليس بالامر السهل لانها قد تخفى على الانسان نفسهِ وعلى امهر الاطباء . وازالتها بعد اكتشافها قد تكون من اصعب الامور ولذلك لا يعفى المرء من التفتيش عن سبب كل انحراف يقع في صحتهِ وازالتهِ

ولا يصحّ الاعتماد على القواعد العامّة وتطبيقها على كل احد فقد اصيب البعض بامراض وبلية مزمنة لازمتهم مدى الحياة وهم لم يعملوا الاّ ما يعملهُ غيرهم عادة مثال ذلك ان دارون الشهير اصيب بسوء هضم لازمهُ عمرهُ كلهُ ولعلهُ لم يكن في اول الامر الاّ انحرافاً بسيطاً على اثر دوران البحر لو اتقاهُ لسلم من نتائجهِ كلها . وقد يجهد المرء نفسهُ فيعدو بضع دقائق لكي يصل الى القطر قبل سفرهِ فيصاب على اثر ذلك بمرض قد لا يبرح منهُ

وكيفما التفتنا رأينا ان الاحوال الواحدة لا تؤثر في جميع الناس على حدٍّ سوى لاختلاف احوالهم واستعدادهم فالاغنياء مثلاً يسمنون في الصيف لا في الشتاء لانهم يقطعون في الصيف عن العمل غالباً ويخرجون للنزهة فتزيد قابليتهم للطعام ويكثر اكلهم واعتناء ابدانهم والفقراء يسمنون في الشتاء لا في الصيف لانهم لا يكثرون السهر في الشتاء كالاغنياء ولان عملهم البدني الكثير يحملهم على الاكثار من الطعام . فعلى العاقل ان ينتبه لتأثير الفواعل الخارجية في نفسهِ وان يتعلّم بالاختبار ما ينفعهُ وما يضرهُ ودرجات النفع ودرجات الضرر

فائدة التفاح

من الامثال الانكليزية « تفاحة في اليوم تغني عن الطبيب » . ويحسن بكل والدة ان ترغب اولادها حتى يأكل كلٌّ منهم تفاحة في الصباح حال قيامه من النوم فانها تسهل الامعاء وتنقي الدم

ازالة لطخ الخمر والاثمار

اذا طال بقاء لطخ الخمر والاثمار على غطاء المائدة وفوطها فاغسل اللطخ بالصابون وابسط عليها طبقة سميكة من الشا المبلول بالماء البارد واتركه جيداً ثم انشرها في الشمس مدة طويلة فاذا لم تزل اللطخ فكرر تركها بالشا ونشرها في الشمس

تنظيف البراويز

اذا كانت براويز الصور والمرايا المذهبة مكشوفة للدخان فلا بدَّ من ان تتسخ ولا يمكن تنظيفها بالخرق المبلولة ولا الناشفة لئلاَّ يتلف التذهيب ولكنها تنظف بالجلد الناعم الذي يستعمل لذلك واذا اريد حفظها نظيفة فلا بدَّ من تغطيتها بالشاش او نحوه مدة وجود الدخان

تنظيف الصور

الصور الزيتية لا يجوز تنظيفها من الغبار بالخرق مطلقاً بل تنظف بنفخ الغبار عنها بمنفخ ثم بفرشاة من الشعر الطويل الناعم جداً . واذا اتسخت فتنظف باسفنجة ناعمة مبلولة بالماء والصابون

تنظيف العاج

تنظف الادوات المصنوعة من العاج بدهنها بمجون من مسحوق حجر القيشور (الخفان) والماء ثم تغطى باناء من الزجاج وتوضع في الشمس بضع ساعات وتصقل بقطعة من الفلا